

التحضر وإشكالية المفهوم:

نحو آفاق علمية جديدة في دراسة علم الاجتماع الحضري

Urbanization and Conceptual Problem: Towards a New Scientific Perspective in the Study of Urban Sociology

أ. محمد بو النعناع، جامعة محمد الخامس بالرباط- المغرب

ملخص: يهدف هذا المقال إلى إعطاء نظرة عامة، دون أن تكون شاملة، عن قضية التحضر وإشكالية المفهوم، وذلك باعتماد مقاربة نظرية تحليلية تسعى إلى رصد وتحليل أهم المساعي النظرية التي حاولت تحديد ومقاربة مفهوم التحضر، مع إبراز البعد الإشكالي فيه، والذي يبرز من خلال ثلاث عناصر كبرى: أولاً صعوبة تحديد المفهوم، ثانياً تعدد وتنوع الاتجاهات النظرية المتعلقة بالتحضر، ثالثاً اختلاف مظاهر التحضر وطبيعة المجتمعات التي تعيش الظاهرة الحضرية.

كما سيحاول هذا العمل، استناداً إلى نوع من النقد والمقارنة، تحليل حدود وإمكانات مختلف التحديدات والتعاريف التي أعطيت لمفهوم التحضر، وذلك بغية الكشف عن قيمتها وطبيعة الوظيفة التي يمكن أن تؤديها داخل الخطاب السوسيولوجي الذي يهتم بقضايا المجتمعات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التحضر، الظاهرة الحضرية، الاستقرار الحضري، نشوء المدن.

Abstract: This article aims to give an overview, but not a comprehensive, about the issue of urbanization and the problem of concept. The second is the difficulty of defining the concept, the second is the multiplicity and diversity of the theoretical trends related to urbanization, and the third is the different manifestations of urbanization. And the nature of societies living in the urban phenomenon.

This work, based on a kind of critique and comparison, will attempt to analyze the limits and possibilities of the different definitions and definitions that have been given to the concept of urbanization in order to reveal their value and the nature of the job they can perform within the sociological discourse that deals with the issues of contemporary societies.

Keywords: urbanization, urban phenomenon, urban sedentarization.

مقدمة:

إن الحديث عن موضوع التحضر والكتابة حوله، هو في الواقع، محاولة قديمة قدم الحضارات الإنسانية. حيث شكلت المدينة موضوعا للتفكير والدراسة منذ القدم، "على اعتبار أن نمط الاستقرار الحضري نمط قديم" (مصطفى عمر التير، 1995، ص9).

ولذلك اهتم العلماء والمفكرون الاجتماعيون على اختلاف توجهاتهم الفكرية بتناول قضايا التحضر، كما استأثرت ظاهرة التحضر ونشوء المدن وتطورها، باهتمام عدد من الباحثين والدارسين قديما وحديثا، حيث الإهتمام بظروف وسياقات نشأة المدينة، وتحديد خصائصها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

بيد أن حقل الدراسات الحضرية لم يتحدد بوضوح حتى عهد قريب، حيث ستصبح المدينة مع الفترة الحديثة، موضوع اهتمام الكثير من الباحثين في تخصصات متعددة، وستظهر مجموعة من الدراسات التي اتخذت من المدينة موضوعا لها لخدمة حقول معرفية مختلفة وخاصة علم الاقتصاد والسياسة والجغرافيا والتاريخ.

غير أن الاهتمام السوسيولوجي بموضوع التحضر لن يتأتى إلا بعد قيام ما يعرف لدى الباحثين في علم الاجتماع "بمدرسة شيكاغو" وبالتالي تأسيس فرع جديد ومستقل يختص بميدان الدراسات الحضرية، دون أن ننسى أن التأسيس العلمي لدراسة الظاهرة الحضرية ابتداء خصوصا مع الرواد الأوائل في علم الاجتماع، ويتعلق الأمر بكل من ابن خلدون وهيربرت سبنسر (Herbert Spenser) وأوكيست كونت (August Comte) وكارل ماركس (Karl Marx) في مرحلة أولى ثم ماكس فيبر (Max Weber) وإميل دوركايم (Emil Durkheim) وجورج سيمل (George Simmel) وغيرهم في مرحلة ثانية.

وبعد ذلك، أصبح التحضر يشكل موضوعا أساسيا لكل العلوم الاجتماعية مجتمعة، بحيث يصعب على علم بعينه فهم الواقع الحضري بمختلف جوانبه، وذلك راجع بالأساس إلى تعدد الإشكالات المرتبطة بالمجال الحضري وتنشعبها، وهو ما أدى إلى تنوع واختلاف المداخل النظرية والمقاربات المنهجية التي تناولت الموضوع.

كما تباينت تبعا لذلك طرق تطبيق هذه المداخل والمقاربات على مختلف المجتمعات نظرا لتباين بنيتها ومستوياتها وتركيباتها الحضرية، لكن "تنوع هذه المداخل لا يعني نوع من العزلة العلمية بقدر ما يعني الثراء الفكري، خاصة إذا ما كان الاهتمام متعلقا بظاهرة معقدة متعددة الجوانب كالمدينة" (السيد الحسيني، 2000، ص5).

أولا: عن تحديد المفهوم

في ظلال الاعتبارات السابقة، سنحاول الآن إلقاء الضوء على مفهوم التحضر باعتباره مفهوما مركزيا في دراسة علم الاجتماع الحضري، فهو من أكثر المفاهيم التي شهدت تعاريف عدة في حقل الدراسات السوسيولوجية، حيث استخدم في مختلف الكتابات التي تناولت المجتمعات المعاصرة على عدة مستويات، سواء من حيث أنماط حياتها الاجتماعية أو من حيث بنائها الديموغرافي والاقتصادي.

كما أن تعدد وتنوع الزوايا التي نظر منها علماء الاجتماع في مقاربة موضوع التحضر، جعلت المفهوم عاما وغامضا وغير دقيق، بل مبهما أحيانا حتى في إجرائيته التحليلية. وهو ما دفع بأحد الباحثين المغاربة إلى القول بأن "الصعوبة الأولى التي يصادفها الدارس في علم الاجتماع الحضري هي غياب وغموض المصطلحات التي تتداول في هذه الدراسات" (بوشنفاتي بوزيان، 1988، ص7)، ولذلك نجد الباحث الفرنسي جاك فيرون (Jacques Veron) نفسه يقر في أحد أعماله حول التحضر في العالم بصعوبة تحديد مفهوم التحضر (Jacques Veron, 2006, p12-18).

ونحن في هذا المقام، وأمام استحالة إيجاد تعريف واف شامل ومانع لظاهرة التحضر، سوف نقتصر فقط على محاولة تقصي وتحليل بعض التعريفات الأساسية التي وردت في مجموعة من الكتابات، والتي بدت لنا مهمة في هذا الإطار.

وبداية، إن مفهوم التحضر جاء من الكلمة اللاتينية «Urbs» التي "كان الرومان يستخدمونها للدلالة على المدينة، وبخاصة مدينة روما" (هناك محمد الجوهري، 2009، ص13)، وفي اللسان العربي نجد لفظ "حضر" من الحضور نقيض المغيب، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، وهو المقيم في المدن والقرى، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار". (ابن منظور، الأنصاري الإفريقي المصري، 2003، ص229-231)، ويضيف المنجد في اللغة والعلوم والآداب على مادة حضر كلمة "تحضر" وذلك في ذكره: "أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر" (محمود الكردي، 1986، ص30).

وفي معجم العلوم الاجتماعية نجد أن التحضر هو "الانتقال من الحياة الريفية إلى حياة الحضر، وهذا الانتقال قد يكون بسبب الهجرة، وفي هذه الحالة يتعين على الشخص أو الجماعة أن تتكيف مع النظم والقيم السائدة في المدينة، وقد يكون التحضر بسبب اتساع نطاق المدن، ووصول أساليب الحياة الحضرية إلى بعض المناطق الريفية. وفي هذه الحالة يكون الانتقال عادة تدريجيا من حياة الريف إلى حياة الحضر" (السيد محمد بدوي، 1975، ص123).

ولعل المعنى هنا واضح تمام الوضوح، ذلك أن التحضر يمكن أن يعني إما انتقال السكان إلى المناطق الحضرية واستقرارهم بها أو انتشار أنماط السلوك وأساليب التفكير الحضرية في المجالات القروية والبدوية، كما يمكن أن يعني التحضر عموما "كل استقرار يحققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد. ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني بمعناه الضيق السعي من مكان لآخر وراء المرعى" (الكردي، دس، ص30).

وعلى هذا المستوى يمكن أن نعود إلى محمد بهوض الذي يرى أن التحضر "يفيد معنى الاستقرار في مكان معين، ومزاولة مهنة أو عملا يتطلب الاستقرار، وبهذا المنظور كان الاستيطان الزراعي والعمل في الزراعة المستقرة أول علامة لتحضر الإنسان وبناء الحضارة الإنسانية" (محمد بهوض، 2012، ص15).

وعلى أية حال، فإن التحضر يطرح صعوبات أيضا فيما يتعلق بالتعاريف الموجودة الآن، "ويتم استخدام على نطاق واسع مصطلحات التحضر (Urbanisation) والتمدن (Urbanisme)، وأحيانا يتم استعمالها بشكل مترادف" (Ernest Bergel, 1955, p9). ولئن كان الأمر كذلك فإنه بإمكاننا القول، إن مفهوم التحضر يرتبط بمجموعة من المصطلحات الأخرى القريبة منه، وهو ما يطرح صعوبات في التمييز بينها، حيث لاحظنا من خلال مجموعة من الكتابات أن مصطلحات مختلفة، تطلق على ظاهرة واحدة، غير أن الأمر في الحقيقة، يسترعي الانتباه إلى هذه المصطلحات والتمييز بينها، وتحديد مدلولاتها ومعانيها بكيفية واضحة قدر المستطاع.

وفي هذا الصدد، يورد إرنست بيرجل (E. Bergel) التمييز التالي: التمدن نستعمله لتحديد ظاهرة الإقامة بالمدن، بينما نستعمل التحضر لتحديد الطريقة المميزة للحياة التي ترتبط عادة مع الإقامة بالمدينة. وينظر بيرجل إلى التحضر "كعملية والتمدن كشرط أو مجموعة من الظروف، وبالتالي فإن التحضر هو مفهوم ديناميكي أما التمدن فهو ثابت" (Ernest Bergel, 1955, p9-10).

ولعل مما هو صريح في هذا التمييز، هو أنه يجعل التمدن شرطا أساسيا لحدوث عملية التحضر، والأوضح من ذلك أن بيرجل يعتمد إلى اعتبار التحضر كعملية ديناميكية. وبالتالي، يجب أن نعتبر التحضر، حسب بيرجل دائما، "عملية تحويل المناطق القروية إلى مناطق حضرية، وهذه العملية لها تأثير عميق على التركيب الاقتصادي للسكان، حيث ينخفض عدد السكان الذين يشتغلون في الزراعة ويزداد عدد السكان الحضريين" (Ernest Bergel, 1955, p11).

أما التمدن أو التحضر في التصور الخلدوني، هو حلقة من حلقات تطور العمران البشري، وتجسيد للانتقال من البداوة إلى الحضارة على أساس أن البدو أصل للحضر. ذلك أن «مفهوم الحضر في الفكر الخلدوني، يشمل أهل المدن والأرياف الذين يعيشون من ممارسة المهن أو من التجارة» (المصطفى طهر، 2012، ص315)، فالحضر حسب ابن خلدون معناه "الحاضرون، أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمي وأرفه من أهل البدو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجددهم" (عبد الرحمان ابن خلدون، 2004، ص118)، وقد سبق ذلك قوله: "إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر" (عبد الرحمان ابن خلدون، 2004، ص118)، وفي ذلك إشارة إلى شروط وعوامل حصول التمدن والانتقال من البداوة إلى الحضر. ثم إن لنا أن نلاحظ أن معجم المصطلحات الجغرافية يعتبر التمدن والتمدن كلمتان مترادفتان، ويقصد بهما بالمعنى الدقيق، "ظاهرة تطور المدن وتركز السكان فيها. وينجم عنهما مفهومان: تطور سكان المدن، وتحول المكان الريفي أو شبه الريفي إلى مكان مديني بتأثير النمو الديموغرافي والمساحي للمدينة" (بيار جورج، 1994، ص224).

ولا بأس أن نشير في هذا المقام، إلى أن مصطلح التمدن يختلف عن التمدن في مسألة أساسية وهي أن التمدن يمكن أن يطلق أيضا على عملية تزايد المدن من حيث العدد وعدد السكان والحجم والامتداد المجالي. كما يدل مصطلح التمدن على "شكل خاص لامتلاك المجال من طرف السكان مع العلم أن التجمعات السكنية هي نتيجة لضغط تركز وكثافة مرتفعة نسبيا" (أحمد أكوال، 1997-1998، ص7).

ومجمل القول، يمكن التمييز بين معنيين جد مختلفين لمصطلح التمدن:

-التمركز المجال للسكان انطلاقا من بعض الحدود والأبعاد والكثافة.

-انتشار لمجموعة من الأنساق والقيم والمواقف والسلوكات التي نسميها ثقافة حضرية.

وفي الواقع، يميز جيرالد بريز (Gerald Breese) هو الآخر بين ثلاثة مصطلحات أساسية: التحضر (Urbanisation) والاستيطان (Détribalisation) ثم الاستقرار (Stabilisation)، ويضيف أن التحضر حسب ميتشيل كلايد (Mitchell Clyde) هو "فعل الانتقال إلى المدينة، وترك القرية والعمل في الحقول الزراعية، من أجل البحث عن عمل آخر يلائم الحياة الحضرية، وما يصاحب ذلك من تغيرات في العادات والسلوكيات المختلفة" (Gerald Breese, 1969, p16).

وقد وصف عبد الرؤوف الضبع هذا التعريف بكونه "يتميز نوعا ما بالوضوح فهو يحتوي على جانبي التحضر الكمي والنوعي معا، وإن كان قد قصر الأمر على انتقال الفرد من القرية إلى المدينة، وذلك على اعتبار أنه الجانب الأكثر حدوثا في عملية التحضر" (عبد الرؤوف الضبع، 2003، ص13). وفي نفس الاتجاه يذهب إرنست بيرجل إلى القول، يجب أن نعتبر التحضر "عملية تحول المناطق القروية إلى المناطق الحضرية، وهي عملية لها تأثير عميق على التكوين الاقتصادي للسكان، حيث تقلل من السكان الذين يشتغلون في الزراعة على حساب السكان الحضريين" (Bergel, p11)، وههنا، يتضح أن بيرجل يختزل عملية التحضر في جانبين فقط، جانب مجالي وآخر اقتصادي.

وعلى هذا المستوى بالذات يمكن القول بأن التحضر، في حقيقته، هو أكثر من كونه عملية انتقال لمجموعة من الأفراد من البادية إلى المدينة أو التحول من العمل الزراعي إلى العمل الصناعي أو التجاري، ولكنه يتضمن تغيرات أساسية تشمل تفكير الناس وسلوكهم وقيمهم الاجتماعية، ومن ثم، فالتحضر ليس مجرد انتقال من مجال إلى مجال أو من مهنة إلى أخرى بقدر ما هو عملية تحول تشمل السلوك والقيم والاتجاهات والمعايير والممارسات الاجتماعية.

ولذلك، فقد نظر مجموعة من العلماء المحدثين في علم الاجتماع الحضري مثل لويس ويرث (Louis Wirth) وغيرهم، إلى التحضر من وجهة نظر مزدوجة. من حيث رؤيته كتمركز جغرافي للسكان والأنشطة (غير الزراعية) في موقع ذي شكل وحجم معينين، وفي الوقت نفسه ينظرون إلى التحضر باعتباره "انتشار جغرافي لأنماط القيم والسلوك الحضرية السائدة فضلا عن المؤسسات الحضرية القائمة" (محمد ياسر الخواجة، 2008، ص61)، الشيء الذي يلزم علينا الحديث عن "ثقافة حضرية بالمقارنة مع أخرى قروية أو بدوية أو ما شابه ذلك من الأنماط الثقافية الموجودة والممكنة" (بوزيان، دس، ص9).

ومن هنا فإن التحضر حسب ما يعرضه فيليب ماير (Philip Mayer) ما هو إلا "عملية تغير ثقافي يتضمن تغييرا في القيم والاتجاهات أو المواقف والسلوك واتجاه هؤلاء المهاجرين نحو التوافق والاتساق مع الأنماط الحضرية المحلية" (محمد أحمد غنيم، 1987، ص35)، ومن ثمة، فإن مسألة التحضر هي بالدرجة الأولى تمثل قضية حضارية أو ثقافية. وبالتالي فإن تعريفه "يجب أن يركز على تبيان الميكانيزمات التي تولد داخل أنساق اجتماعية، لأن الاعتبار لا يتجه في هذا الصدد إلى المكان أو الاعتبارات المكانية أو الجغرافية بل إلى الإنسان كمنتج لشكل حضاري معين" (بوزيان، دس، ص9).

وعندما نعود إلى جيرالد بريز نجد أنه يعرف التحضر بوصفه "عملية تغير كمي وكيفي معا تؤدي إلى تحولات كثيرة في خصائص وسمات ووظائف المجتمعات المحلية (المدن والبلدان). كما يرى أن فهم تلك العملية يستدعي ضرورة عقد المقارنات المختلفة في الدول المختلفة أو بين المراكز الحضرية المختلفة في البلد الواحد" (جيرالد بريز، دس، ص21).

وقد تعرض تعريف جيرالد بريز هذا لانتقاد لاذع من طرف الباحث عبد الرؤوف الضبع حيث أبرز أن التعريف "لم يتعرض لوسائل حدوث عملية التحضر ولم يتحدث عن طبيعة هذه التحولات وكيف يحدث التغير في هذه السمات والوظائف، ورغم ذلك فقد أوضح أحد الجوانب المهمة في التعريف وهو أنه يبرز صراحة المنهج المناسب لدراسة التحضر وهو المنهج المقارن" (الضبع، دس، ص13-14).

ثانيا: حول عناصر مقاربة مفهوم التحضر

إن التحضر في نظر البعض يعني سلوكا متميزا إزاء المكان. وهو عبارة عن تنظيم خاص للمكان، يعتمد على تصور عقلائي مسبق ويتميز هذا التصور بضرورته ووحدته، باعتباره "سلوكا يمكن أن يلاحظ في جميع الأماكن التي تتميز بخصائص معينة" (بوزيان، دس، ص8).

كما أن التحضر هو "تعبير مشخص عن نشاط اجتماعي حضاري يترجم تطور العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع تاريخي معين" (بوزيان، دس، ص10).

ولعل ما يلفت النظر في هذا القول هو أنه يضيف عنصرا آخر لعملية التحضر وهو المكان، فأوضح أن عملية التحضر تجسد سلوكا وتصورا متميزا تجاه المكان الذي هو المدينة. كما توقف بوشنفتاي بوزيان عند نقطة هامة، هي تطور العلاقات الاجتماعية التي تكون نتيجة عملية التحضر. غير أن هذا المكان "ليس مهما في ذاته وإنما فيما ينشأ عليه من حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية" (محمود الكردي، 2003، ص191).

والحال أن التحضر بناء على كل ما تقدم، يعني كما سبق أن أشرنا، إما انتقال السكان إلى المناطق الحضرية واستقرارهم بها أو انتشار أنماط السلوك وأساليب التفكير الحضرية في المناطق غير الحضرية. وعلى هذا الأساس، فإن "تحضر البدو يمكن أن يعني انتقال جماعات بدوية إلى المدن والمعيشة فيها وما يتضمنه ذلك من تغيرات في الحياة الاجتماعية والثقافية للبدو كما يمكن أن يعني انتشار طرق التفكير وأنماط السلوك الخاصة بالمناطق الحضرية نتيجة مؤثرات معينة مثل وسائل الاتصال" (صبيح حنا، دس، ص52)، فالبدو عندما "يتعرضون لعوامل تساعد على تحضرهم يمكن أن يستقروا أو يتوطنوا في أماكن معينة، وعندما يحدث

التحضر في المناطق المحيطة بهم، يمكن أن يساعد ذلك على جذب البدو إلى المناطق الحضرية والتوطن بها، وعندما يزداد تحضر المجتمع بصفة عامة فإنه عادة ما يفكر المسؤولون بأكثر جدية في عملية استقرار الجماعات البدوية" (صباحي حنا، دس، ص52).

وعند الباحث الموريتاني محمد بياه بن محمد ناصر نجد أن التحضر، بشكل عام، يطلق على "جملة من العمليات التي تتضمن نمو المراكز الحضرية من حيث عدد السكان، وتوسع المجال، واستخدامات الأرض، وتطور أعداد المراكز وأحجامها وأشكالها المرفولوجية، وعلاقتها بأقاليمها، وعلاقة بعضها ببعض، وما يترتب على هذه العناصر من عمليات التغير التي تتعرض لها البيئة الحضرية" (محمد بياه بن محمد ناصر، 2006-2007، ص133).

وهنا، يبدو أن مسألة التحضر ما هي إلا "ظاهرة اجتماعية تمتاز بديناميكيته وتحمل في مضمونها التغير الاجتماعي السريع، على اعتبار أن التحضر يحدث تغييرا اجتماعيا بنائيا ووظيفيا عميقا قد يأخذ بالمجتمع من حالة قريبة من الترييف إلى التحضر" (زيدان عبد الباقي، 1974، ص10).

يضاف إلى ذلك، أن التحضر "ليس مجرد نتيجة للهجرة القروية والاستقطاب الحضري. وإنما هو نتيجة للتحويلات الاقتصادية والتنازلات الاجتماعية المحددة والمدبرة من قبل سياسات التنمية" (Mohamed Ben Attou ET Ahmed Belkadi, 2014, p40).

وأكثر من ذلك، إن التحضر الآن كما يقول غوتمان (J. Gottmann)، هو "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية تعبر عن تطور في أساليب الحياة وتصورات المجتمع ودور الأفراد في عالم مليء بالتبدلات (modification)" (J.B. Racine, 1968, p255).

وبالتالي فالتحضر هو "مفهوم معنوي يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الوظيفية والبنائية اللازمة لبقاء الكائن الحي ونموه" (عبد الباقي، دس، ص31).

وأيا ما كان جوهر الأمر، فإن مفهوم التحضر يحتاج إلى مزيد من التقيق والتحديد العلمي، فهو مصطلح مازال فضفاضاً وغير واضح الحدود والمداولات، وله عدة تعريفات متداولة، وليس هناك اتفاق أو إجماع بين الباحثين والعلماء المتخصصين حول تعريف جامع مانع. وفي ظل هذا الأمر، يذهب كل من جورج كوراد (Georges Courade) وميشيل برونو (Michel Bruneau) إلى التأكيد على صعوبة تمييز الفعل الحضري (Le fait urbain) في العالم الثالث، ويذهبان إلى أن مصطلح التحضر، في الواقع، يشمل مظهرين متكاملين (Georges, Michel, 1983, p 65):

-التحضر المادي الجغرافي، والمتمثل في التركيز الجغرافي للسكان والأنشطة غير الزراعية في وسط حضري ذو شكل وحجم معينين.

-التحضر الشامل أو الاجتماعي، ويكمن في التوزيع الجغرافي للقيم والسلوكات والتنظيمات والمؤسسات الحضرية.

ويضيف إبراهيم سليمان مهنا على هذين الاتجاهين، اتجاه ثالث "يقوم على الجمع بين المظهرين الديموغرافي والاجتماعي معا، ويضيف إليهما مجموعة من العوامل والأبعاد المتصلة بالنمو الاقتصادي والتغير الاجتماعي، وأسلوب الحياة ونوعيتها، وأنماط التفاعل مع البيئة

ومنظومة القيم والمواقف الثقافية لأفراد المجتمع" (إبراهيم سليمان مهنا، 2000، ص11-12)، ولربما يكون هذا الاتجاه في اعتقادنا، هو الأقرب إلى تحديد مفهوم التحضر، لأنه بصراحة يوضح حقيقة ظاهرة التحضر في واقعها وفي حقيقتها الكلية. ومما هو ناصع الآن، أن التحضر يشمل بعدين أساسيين: بعد سكاني يكمن في انتقال السكان إلى الإقامة والعيش في المدينة، وجانب ثان يتمثل في تغير اجتماعي يصيب القيم والسلوكيات والعادات والمعايير الاجتماعية.

وعلى سبيل الختم، نجد جاك فيرون يذهب إلى أنه ((يمكن فهم الظاهرة الحضرية انطلاقاً من ثلاث متغيرات رئيسية: معدل التحضر (أي نسبة سكان المناطق الحضرية ضمن مجموع السكان في المائة)، وكثافة السكان في المناطق الحضرية (أي العدد المذلق للأشخاص الذين يعيشون في المدن)، ومعدلات النمو الحضري (أي الزيادة السكانية في المناطق الحضرية). وهذه المتغيرات تعطي للتحضر في منطقة ما في العالم أو البلد صوراً مختلفة، ولكن متكاملة)) (Veron, p21).

خلاصة:

وهكذا، نخلص في هذه الورقة البحثية إلى أن مفهوم التحضر من وجهة نظر سوسيولوجية خالصة، هو عملية تغير اجتماعي معقدة تحدث نتيجة عوامل عديدة، يشكل فيها الاستقرار والهجرة من خلال الانتقال من البداوة إلى الحضر أو من القرية إلى المدينة عناصر أساسية. وما يصاحب ذلك من دينامية حضرية متمثلة في نمو ديموغرافي وبروز أنشطة اقتصادية متنوعة ملائمة للحياة الحضرية، والتي تتأسس على بناء اجتماعي قائم على أدوار ومكانات وعلاقات اجتماعية معقدة ومركبة.

قائمة المراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمان (2004). مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الشرق العربي.
2. ابن منظور، الأنصاري الإفريقي المصري (2003). لسان العرب. المجلد الرابع عشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
3. الجوهري، هناء (2009). علم الاجتماع الحضري. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
4. الحسيني، السيد (2000). المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
5. الخواجة، محمد ياسر (2008). علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي. دار ومكتبة الإسراء.
6. التير، مصطفى عمر (1995). اتجاهات التحضر في المجتمع العربي. الدار البيضاء: المؤسسة العربية للنشر والإبداع.
7. الضبع، عبد الرؤوف (2003). علم الاجتماع الحضري قضايا وإشكالات. الإسكندرية: دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر.
8. الكردي، محمود (1986). التحضر دراسة اجتماعية: القضايا والمناهج. دار المعارف.
9. الكردي، محمود (2003). "المدينة وتجسيد مفهوم التحضر". في: دراسات في علم الاجتماع. تحرير أحمد زايد القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
10. بوزيان، بوشنفتاي (1988). في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح. منشورات الحوار الأكاديمي. المحمدية: مطبعة فضالة.

11. بدوي، السيد محمد(1975). "كلمة تحضر" في: معجم العلوم الاجتماعية. تصميم ومراجعة إبراهيم مذكور. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12. بريز، جيرالد(1972). مجتمع المدينة في البلاد النامية. ترجمة محمد محمود الجوهري. الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
13. بهوض، محمد(2012). تحديات المدينة في المغرب سلا نموذجا. منشورات دار الأمان. الرباط: مطبعة الأمانة.
14. جورج، بيار(1994). معجم المصطلحات الجغرافية. ترجمة حمد الطفيلي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
15. طهر، المصطفى(2012). "قضايا التمدن والحضارة في الفكر الخلدوني". في: مجلة كلية الآداب ظهر المهرار. فاس. عدد مزدوج 18/17.
16. زيدان، عبد الباقي(1974). علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية. مكتبة القاهرة الحديثة.
17. كوال، أحمد(1998/1997). جدور التوسع العمراني: برشيد وضواحيه نموذجا. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع. مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس الرباط.
18. مهنا، إبراهيم سليمان(2000). التحضر وهيمنة المدن الرئيسية في الدول العربية. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. سلسلة دراسات استراتيجية. العدد 44.
19. ناصر، محمد بيه بن محمد(2007/2006). من أزمة البادية إلى التحضر الفوضوي في موريتانيا نواكشوط نموذجا. بحث لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية. مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط.
20. غنيم، محمد أحمد(1987). المدينة دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
21. Ben Attou, Mohamed. et Belkadi, Ahmed(2014). Guelmim-Oued Noun la ville, la tribu et le processus d'urbanisation. Université ibn Zohr. Agadir : Impression Négoce com.
22. Bergel, Egon Ernest(1955). Urban Sociology. New York: McGraw-Hill Book Company. ING.
23. Breese, Gerald(1969). Urbanisation et Tradition. traduction Marc André Bera. Paris : les éditions internationales.
24. Courade, Georges. et Bruneau, Michel. (1983). « Développement rural et urbanisation dans le tiers-monde ». in : Cah, ORSTOM, série, Science humaine, vol XIX, n° 1.
25. J.B. Racine(1968). « Géographie Urbain et Aménagement Urbain : Quelques aspects de la préparation et de la participation des géographes français à Faction ». in : Cahiers de géographie du Québec, vol. 12, n° 26. Document téléchargé le 5 Décembre 2015, 07:57. <http://id.erudit.org/iderudit/020810ar>
26. Veron, Jacques(2006), L'urbanisation du monde. Edition la Découverte. Paris.